السحر
مجموعة مقالاتي عن السحر
أحمد التابعي محمود البرش
اصدار موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة مقالاتي عن السحر ، شاملة المقالات العلمية المتخصصة:-

السحر:- -الفعل الأحقر، والشرك المستقذر، حيث عاقبة السوء، لمن فعل، ولمن دبر، ولمن سعى وأمر، وآذى أو دمّر، "ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق"، ومن دس السم يوشك أن يطعم، ويموت بذات الداء بعد أن يأثم، فيا ضيعة العمر، ويا حسرة على الآخرة "خسر الدنيا والآخرة! "

استشرى هذا الداء في هذه الأيام، وسرى مسير الشمس والقمر، فلا يكاد يمر يوم إلا وتسمع عن حالة سُحرت، أو أمراض وأعراض لا تفسير لها قد تفجّرت، ويظل المسحور يدور ويخور، لا يلوي على شئ إلا طلب السلامة، والخروج من دائرة وجد فيها الكآبة والسآمة، والفاعل قذر مستتر، غره حلم الله عليه، وإمهاله على ما جرت به السنن، التي أنزلها الله تعالى في كتابه الكريم "وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد"، و"أملي لهم إن كيدي متين"، وفي الحديث"إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته! "

- كتبت مقالا سابقا، تحدثت فيه عن التأصيل الشرعي للسحر، وحده لغة واصطلاحا، والدليل على وقوعه، والاختلاف الذي دب حوله، وماهيته، وهل هو حقيقي أم تخيلي، وهل له أثر في جوهر الأشياء، أم في أعراضها، لذا فليس المقال

هنا مقال تأصيل، واستدلال، وإنما هو مقام التذكير والوعظ، والزجر، والتذكير بالله تعالى، "وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين. "

- مرض مناعي حيّر الأطباء، نزيف شرجي لا يطببه الحكماء، سرطان مستشر دب في جسد ينهشه، وآلام تأكل في إنسان تنهكه، وضيق حال، ودوار وشقاق واختلال، ومشاكل تُعرض عليك ليل نهار، وبعد البحث والتنقيب، يجد الشاكي سحرا في بيته، أو دفنا في منزله، أو من يقر له بفعله، تائبا أو مهددا، معتذرا أو متوعدا، حيث يتضاءل الفرق، بعد وقوع الأذى والألم، وتوالي المحن، "وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله"، حيث الإذن الذي لا يعفي من عقوبة، ولا يقلل من جرم، بل يدعو إلى التحصن بالله تعالى، والعوذ به سبحانه .

- لا أحصي هذه المرات، التي عاينت فيها مرارة السحر، في ذواتنا، أو عند بعضنا، أو في أسئلة وردت إلينا، كفتاة شكت رؤيتها لكلب في منامها يعضها وهي تصرخ لتستيقظ وهي تنظر إلى أثر واضح في يدها!، والسر في سحر دسه لها من طلب الزواج منها ممن لا خلاق ولا خلق لهم، فرُفض فبادرها بالسحر والأذى وتوعدها ألا تكون لغيره، ولا أقص هنا إلا ما شاهدته، لا ما سمعت عنه ولم أره، "علام يقتل أحدكم أخاه؟. "!

- شكا لي أحدهم مشاكل في بيته، وضيق حال يعتريه، فلما سألته عما يجد، حدثني عن هواجس ووساوس، وأحلام وكوابيس، وأوجاع وآلام، وهموم وأحزان، وتيه يعيشه، يئن منه ولا يفيق، ثم صرّح بأن فلانة كانت قد توعدته طمعا في إرث

مشترك بينهما، وأتى له من يجلس إليها من النسوة فحذرته مما صنعت تلك الفاجرة!

- صححوا عقيدتكم، وأحسنوا الظن بربكم، وتوكلوا على باريكم، وداوموا على الفرائض، واحرصوا على النوافل، وتحصنوا بالقرآن والذكر، وعليكم بالدعاء والالحاح على الله تعالى، وأفضل الذكر بعد القرآن صحيح المسنون، فإن في السنة البركة وزيادة، وفروا من مبتدعات لم يكن عليها القرون الأول، وإياكم والسحرة والدجاجلة، والعرافين من أصحاب الطرق الباطلة، ولا عليكم إن خرج السحر أو دُفن، أو عُلم مكانه أو جُهل، فالعاصم من كل ذلك واحد، "لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم"، "فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين"، وما شاء سبحانه كان ، وما لم يشأ لم يكن، ولا يكون في ملكه إلا ما قضى وقدر، وكيد الشيطان إن قوبل بما عند الله تعالى ، كما أنزل الملك سبحانه"إن كيد الشيطان كان ضعيفا"، وقانا الله تعالى وإياكم شر خلقه.

- لا أحصي تلك المرات،٠ شرعت فيها بكتابة منشور عن السحر، ومن يعانون منه، فمحوته، ورجعت القهقرى، وكبحت زمام همّي، لكي لا أنكأ جرحاً داميا، وغمّا طاغيا، عند كثير من الناس، فضلا عمن سيجادلون بالإنكار، أو سيتكلمون عن الدجاجلة ومدعي الرقى مما تدمع له العين، وتشكو منه القريحة للمَرار!

- لو تقرؤون ما يأتيني من رسائل، ولست مشتغلاً بالرقية، وأتجنب حقيقةً أن أرقي مسحوراً أو ممسوساً إلا إن ألجأني الظرف بقدر الله تعالى!

لو تطالعون تلك المآسي، كمن طلق زوجته، وتخرّب بيته، وفقد عمله، وخسر ماله، ونحل جسمه، وأتاه من المرض ما لا يدري ما هو، وحار له الطبيب!

- سُحِر للنبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، والحديث في هدا الباب صحيح صحيح صحيح، لا يقدح في ذات، ولا يجرح عصمة، ولا يشين رسالة، ولا يصيب عدالة، إنما كان له عرض، كعارض المرض، وكثير منا عانى من ذلك، وكاتب المنشور الذي يكتب لكم، أصابه من ذلك قبلاً ما أصاب الناس، وكما قيل:

لا يعرفُ الشوق إلا من يكابده

ولا الصبابة إلا من يعـــــــــــانيها!

- شاء الله تعالى، أن أقرأ على أحدهم، بعد أيام من عيد الفطر، لينطق – فيما بدا لنا ظاهره – خمسة من الشياطين واحداً تلو الآخر، على تنوع من الأديان، وبعيداً عن القصة، وتفاصيلها، والشواهد التي تدل بما لا يدع مجالا للشك أن المتحدث لم يكن ذاك المريض الذي هوى طريحاً قد افترش الأرض، لا يدري ما يقال على لسانه، ولا يسمعه، وأنه ليس بمرض نفسي من انفصام أو ذهان ونحو ذلك، فالأمر يبعث في النفس الأحزان، ويبث فيها الهمّ.

(وقد خرجوا وعُوفي من ذلك بمحض فضل من الله تعالى، ولم نفعل شيئا سوى قراءة القرآن، والمسنون من الأذكار، والاستغاثة به سبحانه، ولله تعالى وحده الحمد والمنة).

- لو يدري هذا الذي كفر، وأتى الساحر، ليصنع سحراً لفلان، أو يفعل من الكفريات ما يتأذى منه إنسان، - لو يدري- ما أعد الله تعالى له من عقاب في الدنيا، وخسران مبين في الآخرة، ما تجرأ على غضب الجبار جل وعلا!
لو يدري كيف يكون وقع هذا السحر على المسحور وأهله، وأن شيئا في الدنيا لا يمكن أن يكون جزاءه السحر، ولو بلغ ما بلغ، وأن هذا أمر لم تستحله ملة مرسلة، ولا شريعة مُنزلة، لعله كان قد ارعوى!

- على كل حال، للمسلم عقيدة في قرارات فؤاده، أن ما شاء الله تعالى كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطأه، وأن الأمة لو اجتمعت على نفع أو ضر لأحد، لم ينفعوه أو يضروه إلا بما كتب الله تعالى له أو عليه، وقد رُفعت الأقلام عن كتابة تلك الأقدار، وجفت الصحف، فالملك ملك الله تعالى، والخلق خلقه، والكون كونه سبحانه، "ألا له الخلق والأمر. "

- سبيل النجاة في العبودية، في التلبس بالذكر، وإدمان الطاعة، والديمومة على التحصن بالله تعالى، والاستدامة على الالتجاء إليه، وحسن التوكل عليه، وألا ينقطع حبل الدعاء بين العبد وربه، وأن تستقر في القلب دعائم التوحيد، وأركان اليقين، وألا يرتكن العبد على غرور نفسه، بل ينفي كل حول وطول وقوة وقدرة إلا ما كان منها لله سبحانه وبه تعالى جل شأنه!

- سبيل النجاة في الاتباع، وطَرق هدي السنن، والفرار من البدع والمنكرات والمستحدثات، وعندنا في ديننا غُنية وكفاية، وحصن ووقاية، وفلاح وهداية، ولسنا في اضطرار لأن نلجأ إلى مُحدثة ليس عليها دليل، أو بدعة تخالف الهدي والتنزيل، أو اللجوء إلى دعيّ كذاب، أو ساحر كافر بالسنة والكتاب، محارب لله تعالى ولرسوله –المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم–، أشر مُرتاب!

- أحد الكرام بعث لي رسالة يشكو فيها مما أصابه من السحر الذي صنعه له أحدهم، حتى أنه يكاد ألا يدري بنفسه، وقد طلق زوجته، وخسر مصنعه، وترك بلد الغربة التي يعيش فيها. إلى اغتراب جديد!، ولم يَسلم بعدُ من الأذى!
وآخر من خواص أصدقائي راسلني بالأمس يشكو من (الكوابيس)، والوساوس، والآلام، والأرق الذي لا يفارقه، وقد تنغصت عليه معايشه، مما يجد من أثر ذلك !

- وصيتي لنفسي، ولكل من يراسلني، لا تزال واحدة، استقامة وامتثال، صلاة وطاعة وإخبات لله تعالى واستغاثة بالكبير المتعال، قراءة للقرآن واستماع له باستمرار، ذكر وصلاة على النبي واستغفار، وركعة في جوف الليل وقنوت، وإلحاح على الملك جل وعلا في السجود، كنت أقول لمن يسألني "اشكوهم إلى الله تعالى يا فلان !، وفوّض أمرك لمن بيده الأمر، ومقاليد كل شئ!

- **لكننا وهذا من حسنات الرقى، ومن جملة المنح التي تستبطن المحن، نرى أثراً للقرآن، نزداد به إيمانا، ونستكثر به من اليقين، أن فضل القرآن على كلام الخلق، كفضل الله تعالى على خلقه جل وعلا، فأين هذا من ذاك ؟!**
وأنَّى يصيبك الضر منهم إن تولَّاك ؟!

- **" الله ولي الذين آمنوا"**
"فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم"
"فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين"
"أليس الله بكاف عبده"
"وتوكل على الحي الذي لا يموت"
"وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله"
"ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم"
فكن بذلك مؤمنا، وبالله مستعصما، وامض بذلك ولا تلتفت!

- **من أصعب الأسئلة وطلب المشورة التي تؤلمني ، ما يكون خاصا بالسحر ، ولو يعلم الذي يأتي الساحر ليستعين به على أذية الخلق ، ما أعده الله عز وجل له من شقاء الدنيا ، وعذاب الآخرة ، لتمنى أن لو كان بينه وبين الساحر بُعد المشرقين.**

- كثير منا عانى هذه الويلات ، والمتاعب ، والأعراض ، من مرض ، وضيق حال ، وشقاق يُبث في البيوت ، وخراب يحوم حول عيش المسحور ، وربما يدور أحدهم دوران الفلك يبحث عن مسمى لمرضه ، أو دواء لعلته ، فلا يجد لذلك سبيلا ، والسبب في حاقد حاسد لا يرقب إلّا ولا ذمة ، ولا يراعي دينا ولا أخوة ، أسخط ربه جل وعلا ليرضي نفسه المريضة ، وكفر بملته ليطيع شيطانه!

-كم مرة عاينت فيها طلاقا وقع بين زوجين ، لأسباب متهافتة ، وعلل باهتة ، وأحداث تقع تباعا لا منطق لها ، وبالسؤال ستجد وراء الأكمة حرب شياطين مستعرة ، تؤز الشر ، وتثير البغض في النفوس ، ليدب الشقاق والاختلاف ، وتنقلب حياة المتحابين نارا لا تنطفئ إلا بطلاق وخراب ودمار .

-ليست هذه دعوة ، للتعلل بالسحر ، ولا للتزرع بالعين ، ولا لإلصاق الهم بالحسد ، فبعضهم كفى الشيطان هم نفسه ، وبعضهم من الضعف النفسي بمكان ، ويجد في هذه العلل راحة لنفسه ، وإسكاتا لوخز ضميره ، وتمسكا بقشة يحسبها طوق نجاة كي لا يدور في فلك التساؤل ، فالإنسان يحب ويبغض ، ويتغير ويتقلب ، ويصح ويمرض ، ويغتني ويفتقر ، والأمر كله لله تعالى ، بيده الخير ، وهو على كل شئ قدير .

- أخوكم المقصر دوما ، المقر بتفريطه ، ينصحكم بالأذكار ، والتحصينات ، والإدمان على ورد القرآن ، وملازمة الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ،
لاسيما ، آية الكرسي ، والمعوذتين ، وقول "بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم " ، و"أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق" ، ونحو ذلك من صحيح المأثور المرفوع .

- بقي التذكير بأمور:
—لا تذهب لساحر ولا دجال ، وإن زعم أنه يرقي بالقرآن .
—لا تذهب لمن يدعي أنه يستعين بجن مسلم للعلاج ، فإنهم دجاجلة ، علموا هم ذلك أم لم يعلموا .
—لا تطع من يأمرك بخرافات ، وبدع ، وقد سُئلت مرة عن رجل يأمر أهل البيت أن يوقدوا شمعة في الحمام ليلا ، وآخر يأمرهم بغلقه تماما بالليل ، وبعضهم يأمر بستر المرايا ، وبعضهم يأمر بأنواع من البخور ، والقائمة تطول.

- توسع كثير من أهل العلم في هذا الباب ، ولا حرج ، فالقراءة على الماء للاغتسال ، والشرب ، والرش في أركان البيت ، وإن كان لا يصح فيها شئ مرفوع عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، إلا أن بعضها جاء قياسا ، كقياسهم بالقراءة علي الماء والنفث فيها بالنفث بالقرآن في الكفين ، وهو قياس جائز سائغ

عند كثير من أهل العلم ، وكقياسهم بوضع الملح في الماء على ماء البحر الطهور ماؤه ، وهكذا .

- ذكر الإمام ابن القيم عليه رحمة الله تعالى ، دعاء هذا الرجل الذي استدفع الحسد والعين بدعاء قاله "حبس حابس ، وحجر يابس ، وشهاب قابس ، رددت عين الحاسد عليه ، وعلى أحب الناس ، فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير "،
أقول : ولو عمر أحدنا عمر نبي الله نوح عليه السلام ، لعله ما فهم من ذاك الدعاء شيئا ، فما الحبس الحابس ؟! ، وما الحجر اليابس ؟! ، وما الشهاب القابس ؟! ، ولو كانت لها معان ، فهل تفيد الدعاء ؟! ، ولو سلمنا أنه دعاء ، فهل يقال لدفع العين والحسد ؟ !
وقد نظرت في طبعة الشيخين العلمين الأرناؤوط لزاد المعاد ، فما علقا بشئ على ذلك ، ولا تعقباه ، ثم رجعت للطبعة التي أشرف على إخراجها شيخنا العدوي ، فما زاد شيئا عليهما كذلك ، وإنما ذكرت ذلك لبيان توسع بعض أهل العلم في ذلك الباب ، وليس لسبب آخر ، وإن كنت لا أرى استحباب هذا الدعاء ، والمأثور المرفوع الصحيح أولى وأعلى وأغلى ، وأنفع وأرفع .

- بعضهم يمارس الكذب كذلك باسم العلاج ، من زيت زيتون مخصوص بالمئات ، وعسل نحل مئوي الجنيهات ، كأنما وقف على جمعه أولياء النحل ! ، ومسك من نوع خاص يباع بنفيس الجرامات ، وهلم جرا ، أو شرا ، فليتق الله تعالى ، هذا وذاك .

- والحديث يطول ، ويطول ، وليس هذا بيان ما صح مما لا يصح ، وإنما هي ومضات وخطرات ، ولعل الإشارة تغني عن العبارة ، سلمنا الله وإياكم.

- من أصعب الأسئلة وطلب المشورة التي تؤلمني ، ما يكون خاصا بالسحر ، ولو يعلم الذي يأتي الساحر ليستعين به على أذية الخلق ، ما أعده الله عز وجل له من شقاء الدنيا ، وعذاب الآخرة ، لتمنى أن لو كان بينه وبين الساحر بُعد المشرقين.

- كثير منا عانى هذه الويلات ، والمتاعب ، والأعراض ، من مرض ، وضيق حال ، وشقاق يُبث في البيوت ، وخراب يحوم حول عيش المسحور ، وربما يدور أحدهم دوران الفلك يبحث عن مسمى لمرضه ، أو دواء لعلته ، فلا يجد لذلك سبيلا ، والسبب في حاقد حاسد لا يرقب إلّا ولا ذمة ، ولا يراعي دينا ولا أخوة ، أسخط ربه جل وعلا ليرضي نفسه المريضة ، وكفر بملته ليطيع شيطانه!

مكالمات بحروفٍ مُحرقة: أقص عليكم، موجزا، مكالمتين،

الأولى: لأم شاب اتصل عليّ لتأويل رؤيا رآها، لأقاطعه في منتصف سرده للرؤيا :- "حضرتك عندك مس !"، وبعيدا عن تفاصيل ما رآه، وما حدث له أثناء سرده من ثقل بأطرافه، لاسيما قدمه اليسرى، كما حدثني بعد ذلك مرافقان له، فقد مرت أيام، ليحدثني لكن هذه المرة وهو بجوار أمه التي أخذت منه هاتفه لتحدثني، وتبث لي حديثا ممتدا مُسهبا تحكي فيه معاناتها مع السحر في رحلة بائسة استمرت لثلاثين عاما، ووحده الله تعالى من يعلم حدَّها !

ثلاثون عاما قضتها هذه المرأة المكلومة ولازالت في منتصف عقدها الرابع، ولما تبلغ الخمسين بعدُ، ما بين أمراض لا يعرف لها الأطباء اسما، ولا وسببا، ولا دواء، لكنها مع ذلك، تدخل غرفة العمليات كل سنة، صابرة محتسبة، وزوجها كذلك أصابته ثُلة من الأمراض المناعية، وفي محاولة منه لتفادي مزيدا من السحر، فضّل المكوث بجوار الحرم. مكتفيا بشهر واحد، يزور فيه أهله وأولاده بزيارة خاطفة، ينازع شدة المرض الذي يغلبه كلما أقبل قافلا إلى بيته، كما اعتاد كل عام !

إلى هنا، فالزوج والزوجة راضيان محتسبان، يحرصان على العبادة، يقبلان على الطاعة، يحافظان على الصلاة، هكذا أخبرتني الأم المكلومة، لكن الذي ذبح منها كل وريد، أن طال السحر أبناءها الشباب، أولهم ذاك الذي حدثني، فتخبط

سيره في التعليم، وانكب على الاختلاء بنفسه يؤثر الجلوس بمفرده في شقة مظلمة بالدور الأول، وهناك يرى .... ويسمع .... ويجامع .... وبخصوص الأخير من ذلك، فلعل تذيلها بـــ (أو هكذا يزعم أو يُخيَّل إليه، أو يرى فيما يرى النائم) – يكون أجلى للمعنى- تلك التي اقترنت به تجري منه مجرى الدم في العروق!

" كل ده من حماتي الأولانية يا شيخ !، هي التي صنعت لي، وآذتني، لأني كسرت بخاطر ابنها وفسخت الخطوبة وكان يحبني" هكذا روت لي هذه الأم، سواء أصدق ظنها أم خاب !، ولا أريد أن أطيل عليكم بذكر ما تُكوى بمثله المشاعر، وتضطرب الأفئدة، وتنغلق مزاجات الصدور، لكن لعلي أكتفي بقولي أنها قصة بحروف مُحرقة، لولا أن الله تعالى لطف بنا، لاشتعلت عروقنا، وذابت أحشاؤنا، "الله لطيف بعباده! "

الثانية: من وقت وجيز، ولعل من توسط فيها يقرأ منشوري الآن، وهي مكالمة استمرت قرابة الساعتين، أسرة مدمّرة، احتوشتها أعمال السحرة، واجتالتها الشياطين، حتى همت المتحدثة إليّ أن تستبق ملك الموت إلى نفسها، وأكتفي بهذه الإشارة!

لن أطيل كذلك في سرد القصة المتكررة، والتي يظل معها المصاب، يدور كالذي يٌغشى عليه من الموت، بين الأطباء، والشيوخ، والسحرة، التماسا للطب، أو طلبا

للعلاج، أو رجاء الشفاء ولو على يد خبيث !، واستغفر الله تعالى لي ولكم وللمؤمنين!

تلك الأهوال التي يعيشها المصاب بالمس، أو بالسحر، أو بالمرض الذي يشتبه إصابته بما تقدم ذكره، داخل تلك الدائرة المُغلقة، والتي يدور فيها بما لا يحصي عدده إلا الله تعالى، حيث لم يعد يرى في دنياه إلا آلاما أو أوهاما أو أحلاما، وما يُفسر طبيا بالهلاوس السمعية والبصرية والذهان ثنائي القطب ونحوه، ليدخل المريض إلى قاع أعمق من أدوية المهدئات والمسكنات والمنيمات والمخدرات والمثبطات والمدمنات، حيث لا سبيل للعلاج القاطع، ولا توقف عن تعاط العلاج بشكل مفاجئ، لكنه الأسى، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا جل وعلا!

معاشر العلماء والشيوخ والدعاة!

تعلموا ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم، وعلموا ذلك للناس، وأرشدوهم إلى سبل التحصين الشرعية، والأسباب الوقائية، والرقى السنية المرضية، واجعلوا بينكم وبين الطب نسبا ومشورة واطلاعا، تحيلون للشرع تارة، والطب تارة، وكلاهما من الشرع أصيل لا دخيل، واضربوا لأنفسكم سهما في ثواب عبادة الاستماع للمكروب، ووعظ المبتلى، ونصح السائل، وإرشاد الخلق إلى الحق، ودلالة العباد لرب العالمين!

المقالات العلمية
عن السحر:-

أولا :- السحر لغة واصطلاحا:-

السحر لغة:-

قال ابن فارس:-

"السين والحاء والراء أصولٌ ثلاثة متباينة: أحدها: عضْوٌ من الأعضاء، والآخر: خَدْعٌ وشِبهُه، والثالث: وقتٌ من الأوقات.

فالعُضْو: السَّحْر.......................

وأمّا الثّاني: فالسِّحْر، قال قوم: هو إخراج الباطل في صورة الحقِّ، ويقال هو الخديعة. واحتجُّوا بقول القائل:

فإنْ تسألينا فيمَ نحنُ فإننا *** عصافيرُ من هذا الأنام المسحَّرِ.

كأنَّه أراد المخدوع، الذي خدعَتْه الدُّنيا وغرَّتْه. ويقال المُسَحَّر الذي جُعِلَ له سَحْر، ومن كان ذا سَحْر لم يجد بُدّاً من مَطعَم ومشرب.

وأمَّا الوقت: فالسَّحَر، ....

و"السِّحْرُ: عَمَلٌ تُقُرِّبَ فيه إلى الشيطان وبمعونة منه.

ومن السحر: الأُخْذَةُ التي تأْخُذُ العينَ حتى يُظَنَّ أَن الأَمْرَ كما يُرَى وليس الأَصل على ما يُرى.

وكلُّ ما لَطُفَ مَأْخَذُه ودَقَّ فهو سِحْرٌ، والجمع أَسحارٌ وسُحُورٌ، وسَحَرَه يَسْحَرُه سَحْراً وسِحْراً وسَحَّرَه، ورجلٌ ساحِرٌ من قوم سَحَرَةٍ، وسُحَّارٍ وسَحَّارٌ من قوم سَحَّارِينَ، ولا يُكَسَّرُ.

والسِّحْرُ: البيانُ في فِطْنَةٍ.

كما جاء في الحديث: إِن قيس بن عاصم المِنْقَرِيَّ والزَّبْرِقانَ بنَ بَدْرٍ وعَمْرَو بنَ الأَهْتَمِ قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فسأَل النبيُّ صلى الله عليه وسلم عَمْراً عن الزِّبْرِقانِ فأَثنى عليه خيراً فلم يرض الزبرقانُ بذلك وقال: والله يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إِنه ليعلم أَنني أَفضل مما قال ولكنه حَسَدَ مكاني منك فَأَثْنَى عليه عَمْرٌو شراً ثم قال: والله ما كذبت عليه في الأُولى ولا في الآخرة ولكنه أَرضاني فقلتُ بالرِّضا ثم أَسْخَطَنِي فقلتُ بالسَّخْطِ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا. «

قال أَبو عبيد: كأَنَّ المعنى والله أَعلم أَنه يَبْلُغُ من ثنائه أَنه يَمْدَحُ الإِنسانَ فَيَصْدُقُ فيه حتى يَصْـرِفَ القلوبَ إِلى قوله ثم يَذُمُّهُ فيَصْدُق فيه حتى يَصْـرِفَ القلوبَ إِلى قوله الآخر فكأَنه قد سَحَرَ السامعين بذلك.

وقال ابن الأَثير: يعني إِن من البيان لسحراً أَي منه ما يصـرف قلوب السامعين وإِن كان غير حق.

وقيل معناه إِن من البيان ما يَكْسِبُ من الإِثم ما يكتسبه الساحر بسحره فيكون في معرض الذمّ ويجوز أَن يكون في معرض المدح لأَنه تُسْتَمالُ به القلوبُ ويَرْضَى به الساخطُ ويُسْتَنْزَلُ به الصَّعْبُ.

قال الأَزهري: وأَصل السِّحْرِ صَرْفُ الشـيء عن حقيقته إِلى غيره فكأَنَّ الساحر لما أَرَى الباطلَ في صورة الحق وخَيَّلَ الشـيءَ على غير حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه أَي صرفه. "

وقد جمع الراغب هذه المعاني اللغوية رابطا إياها بحدودها الاصطلاحية المتعارف عليها بين أهل فنه، فقال-:

"السِّحْرُ يقال على معان :

الأوّل : الخداع وتخييلات لا حقيقة لها، نحو ما يفعله المشعبذ بصـرف الأبصار عمّا يفعله لخفّة يد، وما يفعله النَّمَّام بقول مزخرف عائق للأسماع، وعلى ذلك قوله تعالى: {سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ} ، وقال: {يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ}

، وبهذا النّظر سموّا موسى عليه السلام سَاحِراً فقالوا: {يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ}.

والثاني: استجلاب معاونة الشّيطان بضـــرب من التّقرّب إليه، كقوله تعالى: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ* تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ} ، وعلى ذلك قوله تعالى: {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ}.

والثالث: ما يذهب إليه الأغتام ، وهو اسم لفعل يزعمون أنه من قوّته يغيّر الصّور والطّبائع، فيجعل الإنسان حمارا، ولا حقيقة لذلك عند المحصّلين. "

ثانيا :- السحر اصطلاحا:-

قال الفخر الرازي:-

"السحر في عرف الشـــرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع، ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله. قال تعالى: {سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ} يعني: موهوا عليهم حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى، وقال تعالى: {يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى}. "

وعرفه الإمام الجصاص (الحنفي) بقوله:-

"كُلِّ أَمْرٍ خَفِيَ سَبَبُهُ وَتُخُيِّلَ عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ وَيَجْرِي مَجْرَى التَّمْوِيهِ وَالْخِدَاعِ، وَمَتَى أُطْلِقَ وَلَمْ يُقَيَّدْ أَفَادَ ذَمَّ فَاعِلِهِ وَقَدْ أُجْرِيَ مُقَيَّدًا فِيمَا يُمْتَدَحُ وَيُحْمَدُ كَمَا رُوِيَ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا» " انتهى.

وظاهر تعريف الإمامين الرازي والجصاص يوحي بأنهما قد ذهبا إلى كون السحر ليس له حقيقة، وإنما هو أوهام وتخيل، وهو المذهب المنسوب إلى أبي جعفر الإسترباذي من الشافعية، وأبي بكر الرازي من الحنفية، وابن حزم الظاهري، خلافا لمذهب الجمهور، وهو خلاف بعضه حقيقي، وبعضه لفظي.(سيأتي في المنشور اللاحق).

وعرفه ابن العربي (المالكي) بأنه:-

"كَلَامٌ مُؤَلَّفٌ يُعَظَّمُ بِهِ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى، وَتُنْسَبُ إلَيْهِ فِيهِ الْمَقَادِيرُ وَالْكَائِنَاتُ" انتهى .

وكلام الإمام مجمل غير مفصل، فإنه تكلم عن أسبابه، وسبله بقوله "كلام مؤلف"، وتكلم عن غايته ومقصوده الخبيث بقوله في بقية الحديث عنه، دون التعرض للحديث عن كنهه، وجوهره .

وعرفه (الشافعية) كما في مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج(١٢٠/٤)، حاشية قليوبي على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين(١٧٠/٤)، تحفة الحبيب على شرح الخطيب للبجيرمي(٤٩٤/٤)، حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج(٦٢/٩) بأنه-:

"مزاولة النفوس الخبيثة لأفعال وأقوال يترتب عليها أمور خارقة للعادة" انتهى.

وكلام الأئمة الشافعية هنا كذلك، كسابقيهم من المالكية، مجمل غير مفصل، فإنهم تكلموا عن أسبابه، وأثره، دون التعرض للحديث عن كنهه، وجوهره .

وقال ابن قدامة (الحنبلي)-:

"هو عقد ورقي وكلام يتكلم به أو يكتبه أو يعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له وله حقيقة، فمنه ما يقتل وما يمرض وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه وما يبغض أحدهما الى الآخر أو يحبب بين اثنين، وهذا قول الشافعي" انتهى.

وكلام الإمام ابن قدامة – وبغض النظر أنه لم يأخذ نمط القالب الحدي للتعريف، من وجازة اللفظ، والجمع والمنع – أكثره إسهابا وتفصيلا، وواضح من كلامه أنه يرى أن للسحر حقيقة وتأثير– كما هو مذهب الجمهور–، ومن جميل الذكر، وجليل الفائدة نسبته كلامه إلى الإمام الشافعي، فيضم كلامه إلى الشافعية كذلك.

اختلاف العلماء في حقيقة السحر وأثره:-

-اختلف أهل العلم في ماهية السحر، وكينونته، ومما تجدر الإشارة إليه، والتأكيد عليه، أن بعض هذا الخلاف حقيقي، وبعضه لفظي، وبعد تتبعي لمظان الموضوع، وإطالة النظر في المُحال للمخطوط والمطبوع، شرعتُ في إجمال هذا الخلاف بإدراجه تحت قسمين، كل قسم يندرج تحته قولين.

فتصير اثنين إجمالا، وأربعة تفصيلا، تقل وتزيد بحسب الاعتبار، وقد جمعت النقول بالعزو والإحالة، مصدرا ومرجعا ، في متن البحث عاليه.

القسم الأول :- السحر له حقيقة.

على قولين-:

القول الأول : له حقيقة تُحدث أثرا وعرضا.

القول الثاني : له حقيقة تُحدث تغييرا في جوهر الشئ وصيرورته.

القسم الثاني :- السحر ليس له حقيقة.

على قولين-:

القول الأول : السحر نوع من أنواع التخييل والإيهام فحسب.

القول الثاني : السحر لا وجود له البتة ، وإنما هو إقناع بغير الحقيقة.

وبالجملة فالقسم الأول قول الجمهور على التفصيل المذكور، وأكثره كذلك على القول الأول منه، والقسم الثاني هو قول طائفة كريمة من سادات أهل العلم، وأكثرهم كذلك على القول الأول منه، على ندرة من قال بالقول الثاني، وقد عنيت

مفهوم حقيقة السحر :-

هنا بمذاهب أهل السنة، وطويت الذكر صفحا عمن تشعب من الفرق والمذاهب، ممن خرج عن جادة الطريق، أو حاد عن الصواب عند التحقيق، فلم ألتفت إلى مذاهب الشيعة وما تفرق عنها، ولا المعتزلة وما تفرع منها، ولم أرم بنظر لأقوال متهافتة، بثها الشاردون من الفلاسفة.

وبعض أقوال العلماء في هذه الأقسام السابقة ، متداخل ، وبعضه مجمل أو حمال وجوه ، وبعضه – كما تقدم – يندرج تحت الخلاف الحقيقي، وبعضه يندرج تحت الخلاف اللفظي، وأسباب الخلاف هنا عديدة، ومتنوعة، وبعضه متشعب، ومن ذلك اختلافهم في الدليل – لاسيما السنة ، وأخص آحادها (كحديث سحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم)- ، ومرتبته، ومناطه، وشاهد الاستنباط منه وأداته، ثم ما يقع تحت السنة من الأدلة الاجتهادية المعروفة كالإجماع ، والاستصحاب، والقياس، وغيرها هذا من جانب، ومن جانب آخر ترجع بعض أنواع الخلاف لاختلافهم من الجواز والمنع النقليين، والعقليين، فبعضهم يجيز بعض ما تقدم عقلا ويمنعه نقلا، وعكسه، وبعضهم يجيزه عقلا ونقلا، وعكسه، وبعضه راجع للخلاف في الحقيقة والمجاز، أو ما يكون من أنواع الوجوب والاستحالة والجواز، وبعضه راجع في التعبير بالحد، ومفهوم العرض والســرد، وهكذا دواليك، ما يرهق النواظر، ويكســر الشناتر، مما يطول بحثه وسبره، وتقصيه وجمعه، فاكتفيت هنا بالإشارة، ووجيز العبارة، ما يلائم المقالة، ويدفع عنها ملالة الإطالة، وقد أحلت القارئ إلى شريف علمه، وسعة اطلاعه وفهمه.

فقد قالت طائفة من العلماء بينهم ابن حزم، وبعض الحنفية، وبعض الشافعية بأنه تخييل لا حقيقة له.

وقال عامة العلماء بأن له حقيقة، وهو مذهب أهل السنة كما ذكر الامام المازري "
قال ابن حجر رحمه الله-:
"اختلف في السحر فقيل: هو تخييل فقط ولا حقيقة له.
وهذا اختيار أبي جعفر الإسترباذي من الشافعية وأبي بكر الرازي من الحنفية وابن حزم الظاهري وطائفة.
قال النووي: والصحيح أن له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء، ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة. انتهى.
لكن محل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب عين أو لا؟
فمن قال إنه تخييل فقط منع ذلك.
ومن قال إن له حقيقة اختلفوا هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من الأمراض، أو ينتهي إلى الإحالة بحيث يصير الجماد حيوانا مثلا وعكسه؟
فالذي عليه الجمهور هو الأول.
وذهبت طائفة قليلة إلى الثاني.
فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية فمسلم، وإن كان بالنظر إلى الواقع فهو محل الخلاف، فإن كثيرا ممن يدعي ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه.
ونقل الخطابي أن قوما أنكروا السحر مطلقا، وكأنه عنى القائلين بأنه تخييل فقط وإلا فهي مكابرة.
وقال المازري: جمهور العلماء على إثبات السحر وأن له حقيقة.
ونفى بعضهم حقيقته، وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة، وهو مردود؛ لورود النقل بإثبات السحر؛ ولأن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص، ونظير ذلك ما يقع من حذاق الأطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده بالتركيب نافعا.

وقيل: لا يزيد تأثير السحر على ما ذكر الله تعالى في قوله: {مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ} لكون المقام مقام تهويل، فلو جاز أن يقع به أكثر من ذلك لذكره. قال المازري: والصحيح من جهة العقل أنه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك، قال والآية ليست نصا في منع الزيادة ولو قلنا إنها ظاهرة في ذلك.

وقال القرطبي: السحر حيل صناعية يتوصل إليها بالاكتساب، غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس، ومادته الوقوف على خواص الأشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاته، وأكثرها تخييلات بغير حقيقة، وإيهامات بغير ثبوت، فيعظم عند من لا يعرف ذلك، كما قال الله تعالى عن سحرة فرعون: {وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} ، مع أن حبالهم وعصيهم لم تخرج عن كونها حبالا وعصيا، ثم قال: والحق أن لبعض أصناف السحر تأثيرا في القلوب، كالحب والبغض، وإلقاء الخير والشـــر، وفي الأبدان بالألم والسقم، وإنما المنكور أن الجماد ينقلب حيوانا أو عكسه بسحر الساحر، ونحو ذلك. "

القدر الذي يمكن أن يبلغه تأثير السحر في المسحور:-

قال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى:

اعلم أن لهذه المسألة واسطة وطرفين:-

طرف لا خلاف في أن تأثير السحر يبلغه، كالتفريق بين الرجل وامرأته، وكالمرض الذي يصيب المسحور، ونحو ذلك.

ودليل ذلك القرآن، والسنة الصحيحة.

أما القرآن: فقوله تعالى: }فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ{ ، فصـــرح جل وعلا في هذه الآية الكريمة بأن من تأثير السحر التفريق بين المرء وزوجه .

وأما السنة: فما ثبت في الصحيحين، وغيرهما من حديث عَائِشَةَ رضى الله عنها قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ مِنْ بَنِى زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّـــيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهْوَ عِنْدِي لَكِنَّهُ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِي رَجُلاَنِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، وَجُفِّ طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ، قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ»، فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَجَاءَ فَقَالَ: « يَا عَائِشَةُ كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، أَوْ كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلاَ اسْتَخْرَجْتَهُ؟ قَالَ: «قَدْ عَافَانِي اللَّهُ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا»، فَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ ... وَقَالَ اللَّيْثُ وَابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ هِشَامٍ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَةٍ، يُقَالُ: الْمُشَاطَةُ مَا يَخْرُجُ مِنَ الشَّعَرِ إِذَا مُشِطَ، وَالْمُشَاقَةُ: مِنْ مُشَاقَةِ الْكَتَّانِ . هذا لفظ البخاري في بعض رواياته لهذا الحديث. والقصة مشهورة صحيحة .

ويتابع العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالى كلامه فيقول :

"ففي هذا الحديث الصحيح: أن تأثير السحر فيه – صلى الله عليه وسلم – سبب له المرض، بدليل قوله: «أما الله فقد شفاني»، وفي قوله: فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، أي: مسحور، وهو تصـــريح بأن السحر سبب له وجعا، ونفي بعض الناس لهذه القصة مستدلا بأنها لا تجوز في حقه صلى الله عليه وسلم، لقوله تعالى عن الكفار منكرا عليهم: {إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا} ساقط؛ لأن الروايات الصحيحة الثابتة لا يمكن ردها بمثل هذه الدعاوى .

وطرف لا خلاف في أن تأثير السحر لا يمكن أن يبلغه كإحياء الموتى، وفلق البحر ونحو ذلك.

قال القرطبي في تفسيره : أجمع المسلمون على أنه ليس في السحر ما يفعل الله عنده إنزال الجراد، والقمل، والضفادع، وفلق البحر، وقلب العصا، وإحياء الموتى، وإنطاق العجماء، وأمثال ذلك من عظيم آيات الرسل عليهم الصلاة والسلام. فهذا ونحوه مما يجب القطع بأنه لا يكون لا يفعله الله عند إرادة الساحر. قال القاضي أبو بكر بن الطيب: وإنما منعنا ذلك بالإجماع ولولاه لأجزناه انتهى كلام القرطبي. وأما الواسطة فهي محل خلاف بين العلماء، وهي هل يجوز أن ينقلب بالسحر الإنسان حمارا مثلا، والحمار إنسانا؟ وهل يصح أن يطير الساحر في الهواء، وأن يستدق حتى يدخل من كوة ضيقة، وينتصب على رأس قصبة، ويجري على خيط مستدق، ويمشـــي على الماء، ويركب الكلب ونحو ذلك؟. فبعض الناس يجيز هذا، وجزم بجوازه الفخر الرازي في تفسيره، وبعضهم يمنع مثل هذا.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى: أما بالنسبة إلى أن الله قادر على أن يفعل جميع ذلك، وأنه يسبب ما شاء من المسببات على ما شاء من الأسباب وإن لم تكن هناك مناسبة عقلية بين السبب والمسبب فلا مانع من ذلك، والله جل وعلا يقول: }وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ{ ، وأما بالنسبة إلى ثبوت وقوع مثل ذلك بالفعل فلم يقم عليه دليل مقنع؛ لأن غالب ما يستدل عليه به قائله حكايات لم تثبت عن عدول، ويجوز أن يكون ما وقع منها من جنس الشعوذة، والأخذ بالعيون، لا قلب الحقيقة مثلا إلى حقيقة أخرى، وهذا هو الأظهر عندي، والله تعالى أعلم. "

وخلاصة ما سبق فيما يخص حقيقة السحر:-

-بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:-

اعلم - هداني الله وإياك - أن عامة العلماء وجمهورهم على أن للسحر حقيقة ، وأن له أثرا ، ولم يخالفهم إلا نذر يسير من أهل العلم ، كبعض سادتنا من الحنفية، وبعض سادتنا من الشافعية، وكالإمام ابن حزم، عليهم جميعا رحمات الله تعالى، وبنفيه قال المعتزلة ومن نحا نحوهم، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

ذكر جملة ممن قالوا بأن للسحر حقيقة وأثر:-

١-قال الإمام الخطابي -رحمه الله تعالى- (ت: ٣٨٨ هـ) في "شرح السنة("١٨٨/١٢-:)

"قد أنكر قوم من أصحاب الطبائع السحرَ، وأبطلوا حقيقته، والجواب: أن السحر ثابت، وحقيقته موجودة، اتفق أكثرُ الأمم من العرب والفُرْس والهند وبعض الروم على إثباته، وهؤلاء أفضل سكان أهل الأرض، وأكثرهم علماً وحكمة.

وقد قال تعالى: ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وأمر بالاستعاذة منه فقال: ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ [الفلق: ٤].

ورَدَ في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار لا ينكرها إلا مَن أنكر العيان والضرورة.

وفرَّع الفقهاء فيما يلزم الساحرَ من العقوبة، وما لا أصل له لا يبلغ هذا المبلغ في الشهرة والاستفاضة، فنفي السحر جهل، والرد على من نفاه لغوٌ وفضل. "

٢- -قال الإمام المازري -رحمه الله تعالى-كما في زاد المسلم (٤/٢٥٥) (ت:٥٣٦هـ):-

"السحر أمر ثابت وله حقيقة كغيره من الأشياء، وله أثر في المسحور، خلافًا لمن زعم أنه لا حقيقة له، وأن الذي يتفق منه إنما هو خيالات باطلة لا حقيقة لها.
وما ذكره من ذلك باطل؛ لأنه قد ذكره الله تعالى في كتابه الكريم، وأنه يُتعلَّم، وأنه مما يُكفر به، وأنه مما يفرِّق المرء وزوجه، وفي حديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم أنه أشياءُ دُفنَت وأُخْرِجت، وهذه كلها أمور لا تكون فيما لا حقيقة له، وكيف يُتَعَلَّم ما لا حقيقة له؟!
قال: وغيرُ بعيد في العقل أن يخرِق الله تعالى العادة عند النطق بكلام ملفق، أو تركيب أجسام، أو المزج بين قوى، على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر.
ومَنْ شَاهَدَ من الأجسام ما هو قتَّال كالسموم، وما هو مُسْقِم كالأدوية الحارة، وما هو مصحِّح كالأدوية المضادة للمرض، لم يبعد في العقل أن ينفرد الساحر بعلْمِ قوًى قتالةٍ، أو كلامٍ مُهلِكٍ، أو يؤدي إلى التفرقة."

٣-قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى-(ت:٦٧١ هـ) في تفسيره "الجامع لأحكام القرآن "(٢/٤٦) :-

"ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة، وذهب عامة المعتزلة، وأبو إسحاق الإستراباذي من أصحاب الشافعي، إلى أن السحر لا حقيقة له، وإنما هو تمويه وتخييل وإيهام لكون الشيء على غير ما هو به، وأنه ضرب من الخفة والشعوذة، كما قال تعالى: ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ [طه: ٦٦]، ولم يقُل: تسعى على الحقيقة، ولكن قال: ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ﴾، وقال أيضًا: ﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ ﴾ [الأعراف: ١١٦].

قال: وهذا لا حجة فيه؛ لأننا لا ننكر أن يكون التخييل وغيره من جملة السحر، ولكن ثبت وراء ذلك أمور جوَّزها العقل، وورَد بها السمع، فمن ذلك ما جاء في هذه الآية من ذكْر السحر وتعليمه، ولو لم يكن له حقيقة لم يمكن تعليمُه، ولا أخبر تعالى أنهم يُعلِّمونه الناس، فدل على أن له حقيقة.

وقوله تعالى في قصة سحرة فرعون: ﴿ وَجَاؤُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ١١٦]، وسورة الفلق، مع اتفاق المفسرين على أن سبب نزولها ما كان من سحر لَبيد بن الأعصم، وهو مما خرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سحر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يهوديٌّ من يهود بني زريق يقال: له لَبيد بن الأعصم... الحديثَ، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما حل السحر: ((إن الله شفاني))، والشفاء إنما يكون برفع العلة، وزوال المرض، فدل على أن له حقًّا وحقيقة، فهو مقطوع به بإخبار الله تعالى ورسوله على وجوده ووقوعه، وعلى هذا أهل الحَلِّ والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع، ولا عبرة مع اتفاقهم بحُثالة المعتزلة، ومخالفتِهم أهلَ الحق.

قال: ولقد شاع السحر وذاع في سابق الزمان، وتكلم الناس فيه، ولم يبدُ من الصحابة ولا من التابعين إنكارٌ لأصله."

٤- قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - (ت:٦٧٦هـ) كما نقله عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري(١٠/٢٢٢):-

"والصحيح أن السحر له حقيقة، وبه قطع الجمهور، وعليه عامة العلماء، ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة."

٥- قال الإمام ابن قدامة - رحمه الله تعالى- ، في المغني(١٠/١٠٦):-

"قال ابن قُدامة - رحمه الله تعالى:-

والسحر له حقيقة، فمنه ما يقتل، وما يُمْرِض، وما يأخذ الرجل عن امراته فيمنعه وطأها، ومنه ما يُفرِّق بين المرء وزوجه.

قال: وقد اشتهر بين الناس وجود عقد الرجل عن امرأته حين يتزوجها، فلا يقدر على إتيانها، وإذا حُلَّ عقده يقدر عليها بعد عجزه عنها، حتى صار متواترًا لا يمكن جحده.

قال: وقد روي من أخبار السحرة ما لا يكاد يمكن التواطؤ على الكذب فيه."

٦- وقال - رحمه الله تعالى - في "الكافي:"

"السحر عزائمُ ورقًى وعُقَدٌ، يؤثِّر في القلب والأبدان، فيُمْرِض، ويَقتُل، ويُفرِّق بين المرء وزوجه، قال تعالى: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ [الفلق: ٤]؛ يعني: السواحر اللاتي يَعقِدْن في سحرهن، وينفُثْن في عُقَدِهِنَّ، ولولا أن للسحر حقيقةً، لم يأمرِ الله بالاستعاذة منه."

٧- قال الإمام ابن القيِّم - رحمه الله تعالى - في "بدائع الفوائد-:"

"وقد دل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ [الفلق: ٤]، وحديث عائشة رضي الله عنها - على تأثير السحر، وأن له حقيقة."

٨- قال الإمام ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله تعالى - في شرح "شرح العقيدة الطحاوية" ص ٥٠٥:-

"وقد تنازع العلماء في حقيقة السحر وأنواعه، والأكثرون يقولون: إنه قد يؤثِّر في موت المسحور، ومرضه، من غير وصول شيء ظاهر إليه. "

وختاما لابد من تنبيهات:-

١- هاتفني بعض مشايخنا بخصوص منشور الرقية السابق للاستعلام عنه ، وأشاروا عليّ بنشر توضيح .

٢- أنا لا أعمل في مجال الرقية عموما ، وبعض المواقف التي ذكرتها ، وأنقلها فردية ، جاءت قدرا.

٣-للقرآن أثر واضح بالغ في كثير من حالات السحر والمس والحسد والعين ، بل ورأيت ذلك فيما ظاهره المرض العضوي ، بل وباطنه ، وما ذلك على الله بعزيز .

٤-طلب العلاج الدوائي للأمراض المعروفة ، لا يتنافى مع الرقية والدعاء ، فالرقية لا تخرج عن كونها (قرآنا - دعاء - ذكرا).

٥-الرقية منها ما هو مأثور منصوص عليه بلفظه ومناسبته وهو خير الرقى ، ومنها ما هو اجتهادي ، شريطة ألا يكون فيها شرك ، أو أمر مبتدع ، أو كلام غير مفهوم ، أو غير عربي ، أو أمر بمعصية ، أو استغاثة بمخلوق ، ونحو ذلك.

٦-أثر الرقية تقدير من الله تعالى ، قد يكون محسوسا ظاهرا ، وقد يكون باطنا نجد أثره فحسب ، فالأمر كله لله تعالى .

٧- الأصل في الرقى هو قراءة القرآن وبعض الأذكار والأدعية المأثورة الصحيحة المرفوعة وما في حكمها ، واستجد عليها القراءة على الماء ونحوه ، واستجازوا قراءة بعض الآيات خصوصا لمناسبتها لموضوع رد السحر والحسد ونحو ذلك .

٨-هذا الباب شائك ، ومتشابك ، ويختلط على بعضهم ما يلتبس من الجائز ومن المبتدع ، فعلى الداخل فيه تعلما النظر والحذر وتقفي الأثر .

٩-الموضوع أكبر من بسطه في منشور ، لكن هذا ما يسمح به مقام الاختصار والعجلة .

١٠-أرسلتُ لمن سألني ، بعض آيات الرقية التي سُئلت عنها ، سائلا المولى الكريم أن يشفي كل مصاب ، ومريض ، ومبتلى.

تمت بحمد الله

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

والنشر الإلكتروني